شظايا الذاكرة في قصيدة:" شهرزاد والليلة الثانية بعد الألف" لـ:"عبد الحليم مخالفة"

شاديــة شقــروش
كلية الآداب واللغات
جامعة العربي تبسي – تبسة

الملخّص:

لكل شاعر طريقته الخاصة في اختيار ما يؤثث به نصّه ويعبّر عن الفكرة التي يريد، لذلك تبحث هذه الدراسة عن مرجعية الذاكرة والمتخيل عند الشاعر، "عبد الحليم مخالفة" من أجل الكشف عن المعاني المستبطنة في قصيدته **"شهرزاد والليلة الثانية بعد الألف"** التي كتبها في العشرية السوداء، حيث حاول أن يعبر عن ألم الوطن المهدد بالموت الذي يتشاكل مع ألم شهرزاد المهددة بالموت في **" ألف ليلة وليلة"**، فكيف عبّر الشاعر عن هذه المحنة؟

الكلمات المفتاحية: الكتابة، الذاكرة، المتعاليات، النصية، المناص، التناص، الميتناص، معمارية النص.

Résumé:

Chaque poète à sa manière de choisir ce qui fournit son texte et exprime l'idée qu'il veut, donc cette étude cherche a comprendre la mémoire et la référence imaginaire de poète: "Abdel Halim Mokhlfa" pour découvrir les significations cachées dans son poème **" chahrazede et la seconde nuit après le millénaire"** dont il a écrie a les années de terrorisme, où il a essayé d'écrire la tristesse de la patrie Menacé de mort qui est similaire à la menace de mort de **chahrazede** dans **"Les Mille Nuits et Nuit** comment le poète a exprimé cette detresse?

Mots-clés: transcendences textuelle, le **paratexte**, intertextualité, **le** Métatextes, architexte, Hepertextualité .

Abstract:

Each poet in his own way to choose what provides the text and expresses the idea that he wants, so this study seeks to understand memory and imaginary reference poet, "Abdel Halim Mokhlfa" to Discover the hidden meanings in his poem "chahrazede and the

second night after the millennium" which he exclaims in the years of terrorism, where he tried to write the sadness of death threatened homeland that is similar to the chahrazede death threat in "the Arabian Nights Night and how the poet expressed this distress?

Keywords: textual transcendence, the paratext, intersexuality, le Métatextes, the architext, Hypertextuality.

«كل ما يؤثث الإنسان محمل بالمعاني الظاهرة والخفية[...]فالوجود شكل ولون وكلمات، وعن قارات الوجود هذه تنبثق الدلالات ومنها تصاغ القيم وداخلها ينتصب الإنسان كائنا ثقافيا مميزا عن الطبيعة فاعلا فيها، ووحده الإنسان يدرك سرّ هذا الترابط، لأنه وحده المنتج للمعاني، وحده المستهلك لعوالم الرمز وإحالاته»

((سعيد بنكراد: مسالك المعنى ص62))

تتمظهر تصورات الأفراد وأفكارهم في أشكال عديدة (فلسفية، دينية، تاريخية وأسطورية...إلخ)، ويعد الأدب من أبرز الأشكال استيعابا لتلك الأفكار؛ لأن المعطى الفكري لا يتجلى إلا بوساطة الصورة والمتخيّل، لذلك يُعدُّ الإبداع الأدبي من أبرز الأشكال إلماما بالأفكار والتصوّرات.

يَبني الإبداعُ عوالمَ ويُهدِّمُ عوالم أخرى، وبه تُصنع الصُوَر النمطية للشعوب والمجتمعات، ويتيح معرفة الإنسان بالإنسان.

يرحل المبدع بعامة والشاعر بخاصة إلى عوالم مختلفة، يقدّ من الذاكرة ويلتقط فسيفساء نصوص قادمة من سياقات شتى، ليشكل بها متخيلا يبني به فرادته، إذ لا تدرك ذات المبدع نفسها ولا يعاد تشكيلها إلا بالاتكاء على الذاكرة، ولا تستطيع خلق خارجية ضمن نفسها دون الانصات إلى أصداء السابق، من أجل خلق طاقة انتاجية جديدة، ورغبة في التواصل، ضمن شروط جديدة بناء على ما تحقق من وعي الذات، وقدرتها عن الإعلان عن نفسها، والمطالبة بالاعتراف بها وتلبية احتياجاتها المُلحّة، ولكنّها

من جهة أخرى لا تعيد السابق وإنما تحاول إفراغه من دلالته الأصلية وشحنه بدلالات أخرى: بالضبط حركة توليد الفوارق والاختلافات، ويقوم النص الشعري على تَمثُّل ذلك الكلام المترددة أصواته في أطر ثقافية، ومعرفية غير محدودة ليصوغ من أصدائها لديه إبداعيته الخاصة [1].

يرتقي الإنسان ويسمو عندما يعبّر عن أحاسيسه شعرا، فالذات لا تدرك سموّها إلاّ في لحظات الابتكار الفني، لتخليد تلك الحالة الشعورية المتمردة على الحصار، تخليدُ ذلك النبض العاتي الذي تَولّد لحظة إدراك الذات لذاتها.

هل يمكننا أن نقبض على تلك اللحظات المنفلتة من الزمن ونحن في رحلة البحث عن المعنى داخل النفس البشرية؟ أيمكن أن يكون الشعر تصريحا لا يشوبه التلميح؟

إنها الكلمات المتشيئة تتكسر على عتبة الشعر وتتخلق من جديد، فكيف نقبض على ذلك الهدير المتدفق من الأقاصي البعيدة ؟

كيف نلملم شظايا ذاكرة، تبعثرت وراء الكلمات كيف يمكن للكلمة أن تتخلّق من جديد؟

تلك أسئلة تتوالد من بعضها البعض سنجيب عنها من خلال بحثنا الموسوم ب:

"شظايا الذاكرة في قصيدة شهرزاد والليلة الثانية بعد الألف للشاعر عبد الحليم مخالفة".

سأعتمد الآليات الإجرائية للتعالي النصي لجيرار جينات (Gerard genet)، وسأستفيد من إجراءات النقد الأسطوري لبيير برونيل (Pierre Brunel) من خلال القوانين التي صاغها وأطلق عليها اسم (التجلي)

(Emergence) و(المطاوعة أو المرونة) (Flexibilité) (والإشعاع) (Irradiation) [2].

سنبحث عن نص الذاكرة انطلاقا من سؤالين كيف وظفه الشاعر؟ ولماذا؟

كيف؟: ستجيب عن جماليات التوظيف؛(كيف تتكتب الذاكرة وتعاد صياغتها وبأي الأساليب)

ولماذا؟: ستتجيب عن الدلالات المستبطنة ،(المَسْكُوتِ عنه المُتَّشِح بِبُرْدَةِ الذّاكرة).

لاشك في أن لكل شاعر طريقته الخاصة في انتقاء النصوص التي يؤثث بها نصه وتعبّر عن الفكرة التي يريد.

لذلك يرحل الشاعر عبد الحليم مخالفة بذاكرته عبر بوابة التاريخ الأدبي في: "شهرزاد والليلة الثانية بعد الألف" [3]، ليحط رحاله في قصر شهريار وحكايات شهرزاد في "ألف ليلة وليلة "،حيث اعتمد على إطارها الحكائي ومتح منها ما به يبني فرادته، لذلك تَرْشح قصيدته بعبق الماضي وتتداخل مع نصوص أخرى داخل الليلة الثانية بعد الألف ،فيتداخل الشعر بالسرد ويتبادر إلى الذهن تساؤل الجنس الأدبي ،فهل نحن أمام قصيدة معاصرة ،أم قصة شعرية، أم حكاية؟ فكيف جاءت معمارية النص؟

1- الذاكرة الأدبية والكتابة وتناص الحكي(معمارية النص):

لاشك في أنّ الذي حفزّ القارئ على التفاعل هو صياغة العنوان(المناص) ؛"**فشهرزاد والليلة الثانية بعد الألف**" يحيلنا مباشرة على النص الأساسي "ألف ليلة وليلة"، وتلك هي الذاكرة الأدبية، فشهرزاد هي البطلة الأساسة للحكاية الإطار، وهي الساردة لحكايات ألف ليلة وليلة، وصوغ العنوان بهذه الطريقة يوهم المتلقي أنه سيسمع حكاية أخرى من جنس

السرد ، ولكن القارئ يصطدم بمتن ينتمي إلى جنس الشعر، وهنا تكمن المفارقة! إذ كيف استطاع الشاعر أن يحول الحكاية السردية إلى قصيدة شعرية؟ إذ تكمن الشعرية في عملية الانزياح الأجناسي وتحويل المحتوى من القالب الحكائي إلى القالب الشعري، من وجهة ،ومن وجهة أخرى إفراغ الليالي من دلالتها الأصلية وشحنها بدلالات أخرى تتمحور حول الفكرة التي يريد أن يوصلها الشاعر للمتلقي. فالقصيدة برمتها تدخلنا إلى متخيل "ألف ليلة وليلة" وقوالبها التعبيرية، متمثلة أبطالها الرئيسة "**شهرزاد وشهريار**" متخذة الحكاية الإطار سياجا يؤطر المحتوى المتباين. إذ تدخل شخصية الراوي عنصرا ثالثا تنظم حكاية "**الليلة الثانية بعد الألف**"، الأمر الذي أضفي على النص صفة التشظي، ومَكّن الشاعر من خلخلة الشكل وتكسير البنية السردية، محافظا على دينامية الحكي وعلى الإيقاع* في القصيدة و**تطويع** الحكاية الإطار من خلال المشاكلة والاختلاف، جاعلا ذاكرة "الليالي" **تتجلى** وتتحول عبر الكتابة إلى أسطورة أدبية **تشع** [4] في المتن برمته بدءا من الفاتحة النصية إلى الخاتمة النصية مولدة دلالات مختلفة.

2-الذاكرة وكتابة العنوان(المناص):

يجلب العنوان "**شهرزاد والليلة الثانية بعد الألف**" ذاكرة النص الأساس، "ألف ليلة وليلة" ولكنه ينزاح عنه في الصياغة، فشهرزاد في عتبة النص الأول مغيبة في حين نجد أن شهرزاد الشاعر ظاهرة في العتبة، حيث تكمن المفارقة هنا بين الظهور والغياب ،أو الخفاء والتجلي، وإذا كانت شهرزاد الشاعر قد ظهرت في الهامش فإن شهرزاد الليالي قابعة في المتن، ولهذه الانزياحات "مقصيديتها الخاصة باعتبارها محفلا نصيا قادرا على انتاج المعنى وتشكل الدلالة" [5]، ويمتلك العنوان هذه الخاصية؛ لأنه لا يحكي

النص بل يُظهر ويعلن نيته(قصديته)، ولهذا الإعلان أهمية خاصة في تشكيل مظاهر التناسق الحكائي المعين لخصوصية وأشكال صوغ الكتابة وعوالمها الممكنة، فالعنوان يتوالد ويتنامى ويعيد تشكيل نفسه وفق تمثلات وسياقات نصية تؤكد طبيعة التعالقات التي تربط العنوان بنصه والنص بعنوانه [6]، وعلى هذا الأساس يتخذ عنوان القصيدة أول عتبة نلج بها عوالم النص فهو البؤرة التي تشكل مرجعية ذاكرة الشاعر فهل يُعدّ "شهرزاد والليلة الثانية بعد الألف" نفيا لذاكرة "ألف ليلة وليلة" أم أنه استحضار لكتابة الليالي كي يحقق التواصل معها واستمراريتها؟ ربما يحاول الشاعر أن يبعث شهرزاد من سباتها، لذلك أخرجها من المتن إلى الهامش ومن الخفاء إلى التجلي، ولكن بأي صيغة سيواصل الشاعر الحكي؟ وعن أي ليلة سيتحدث بعد أن سكتت شهرزاد الليلي عن الكلام المباح في الليلة الأولى بعد الألف؟، ربما اشتق الشاعر من ذاته ذاتا سمّاها شهرزاد ولبس بردتها كي يضطلع بلذة الحكي، هكذا تتكتب ذاكرة المكان والزمان وذاكرة الحكي في ليلة ثانية بعد الألف لتتواصل حلقات الحكي بين الماضي والحاضر والقديم والحديث، فعن أي شيء ستحكي شهرزاد الشاعر؟ وبأي صيغة ستحكي ؟وهل توجد حكايات عجائبية أسطورية في الزمن الراهن تماثل وتضاهي ماروته شهرزاد الليالي لشهريار؟ ربما تجيبنا الليلة الثانية بعد الألف الكامنة في المتن .

الكتابة والذاكرة في المتن (التناص ،الميتناص) :

أ-التناص: تتنشط كتابة المتن من ذاكرة الليالي فيتناص الشاعر مع ألف ليلة وليلة شكلا ومضمونا ولكن تبدأ شهرزاد الشاعر من حيث انتهت شهرزاد الليالي. يقول الشاعر:

" البدر في كبد السماء قد استقرَّ.../وعلى أريكته تمدَّد شهريارْ.../أعياهُ طول الانتظارْ.../والنوم أرخى نحوهُ/كفاً وراحَ/يداعب الأجفان قهرَا.../فيردُّها السلطان يأبى/أن يلبيَ مُكرهاً,/للنوم أمراَ.../والغادة الحسناء تمثالٌ/يطوّقهُ السكونْ/وعلى امتداد الصمتِ/تمتدُّ الهواجس والظنونْ/" هب أنها لم تستطعْ/إتمام قصتها كما وعدته شعراَ../هب أنها عجزتْ/وخانها فن تنميق الكلام ْ/أو أنها لم تستطعْ/إغفاله حتى ينامْ/هب أنها ارتبكت لبرهةْ وخيالها/نضبتْ جداوله وأمستْ/جنَّةُ الأفكار قفراَ .../أيحكِّم السلطان سيفه عندها/أيصير خدر الغادة الحسناء قبراَ..." (7)

فإذا كانت شهرزاد الليالي تعيش في زمن الليل حالة ملء ملتصق بسرد ينطلق من الإمكانات التي يتيحها مخزون الذاكرة، والمقتطع من نسق التدليل الاجتماعي (...) خاضعا لانتقاء في بناء نص مهادن، أعزل في إمكانية انفتاحه على ذاته، مُشَكّلُ بإرادة سابقة على فعل الحكي ، وقابلة للاستهلاك من طرف المتلقي شهريار[8]،فإن شهرزاد الشاعر مأمورة ومجبرة بأن تحكي قصة أخرى شعرا، وهذه القصة محددة سلفا إذ عمل الشاعر على توصيل حلقات الحكاية لكي تستمر سلطة الكلمة :" **ومضت تحدِّث نفسها/خوفا من السلطان سراَ :/عجبا لأمري..!!/أجعلتُ من نسج الكلام قواقعَ/في جوفها خبَّأتُ عمري..؟/كيف ارتمت هذي الحروفُ/لكي تحول بسحرها/ما بين خنجره ونحري/وتدافعت لتطيل عُمراَ/كيف استطاع الحرف أن يمتدَّ فوقَ/الموت والسيَّاف والأهوال جسرَا..؟"**(9)

ففعل السرد الشعري في الحكاية الإطار حوّل وعي شهريار وأخرجه من التفكير في شهوة الجسد والقتل، إلى حب المعرفة، فأنقذت شهرزاد نفسها وبنات جنسها من الموت، بفضل الكلمة، ولكن شهرزاد

العصر الراهن تتساءل عن كفاءة الكلمة، وكأن هذا السؤال الاستنكاري المستبطن للتعجب يوحي بعدم جدوى الكلمة :

1-عجبا لأمري..!!	2-كيف ارتمت هذي	3-كيف استطاع الحرف
أجعلتُ من نسج الكلام	الحروفُ	أن يمتدَّ فوقَ
قواقعَ	لكي تحول بسحرها	الموت والسيَّاف
في جوفها خبَّأتُ	ما بين خنجره ونحري	والأهوال جسرَا..؟
عمري..؟	وتدافعت لتطيل عمرا	

تشاكل يحيل على معنى قهر الكلمة للموت

تتوالد الكتابة وتتناسل عبر مسارات التشاكل المعنوي من **خلال الحفر في الذاكر** التي تحيل على ثنائية الموت والحياة، أعاد الشاعر استكتابها من خلال المونولوج الداخلي (محكي أفكار)،والهواجس المؤرّقة:

" **ومضت تحدِّث نفسها**

خوفا من السلطان سراَ "

فتتكسر مرآة شهرزاده أمام عتبة الشعر، لتقف مع ذاتها تستقطر وحي الكلمة، فهل سيسعفها الحرف ؟ ولماذا توقف الشاعر عند شهرزاد بالذات؟ ولماذا التركيز على ثنائية الموت والحياة؟./ وماهي الغاية من الكلام، والنسج الشعري؟ ألأن الكلمة لعبت دور المنقذ في الليالي؟

إن الغايات والمقاصد لن تكتمل إلا بانتهاء القصيدة وسكوت شهرزاد عن الكلام المباح، ففي أي مغامرة سندخل معها هذه المرة؟

"أيكونُ ...لكنْ .../صوت سيِّدها تهادى/في فضاء القصر جهرَا :/يا شهرزادُ... أما وعدتني أن تتمي"/قصة (**المصباح والكنز المخبَّــأ/في رمال العرْبِ**) شعراَ...؟/فتبسَّمتْ : مولايَ ... عذرَا
سأتمّها ,/لكنني آثرتك اليوم بأخرى/**سأقص عن ذات العمادِ/عن جنة الفردوسِ** كيف تبخرتْ/كيف انتهت بجمالها وجلالها/ما بين **كثبان الرمادِ**"/سأقص عن **غول الفناءِ**/وقوافلِ الشهداءِ , عنْ/**أسطورة العنقاءِ والعشر الشدادِ**/سأقصُّ عن جرح تغلغل في فؤادي/تذكيه صلصلة السِّلاحِ/تذكيه أنّاتُ الأسى/تذكيه حشرجة النُّواحِ/ستقول يا مولايَ: إنَّ/الكيَّ أشفى للجراحِ.../**فبأيِّ كف يا ترى أكوي بلادي؟؟**"[10]

تنتقل الذاكرة من ثقافة إلى أخرى في رحلة إلى الحضارات الإنسانية عبر التاريخ، وتستحضر نصوصا قادمة من سياقات شتى لتشكل منها فسيفساء الكتابة الشعرية ثم تنسجم في سياق واحد هو سياق القصيدة، فيأتي التناص مع قصة علاء الدين والمصباح السحري وهي قصة من قصص الليالي كما يتدفق التناص على شكل ومضات تحيل على القرآن العظيم (ذات العماد ،جنة الفردوس ، العشر الشداد)، وعلى خرافة الغول (غول الفناء)،وأسطورة(أسطورة العنقاء)، تنصهر هذه الإشارات اللفظية وتتفاعل لتتحول إلى رموز، وتحقق فاعليتها من خلال انكتابها على مستوى أعلى ، ولا يتحقق التعالي النصي إلا بما تكتنزه هذه الرموز من دلالات مغايرة؛ فما يكتبه الشاعر وما يجربه وما يستحضره من الذاكرة هو إحالات رمزية على دلالات بالغة التنوع، فالمعنى لا يوجد في الشيء وليس محايثا له بل هو حصيلة ما يودعه الشاعر من قيم ثقافية هي ما يشكل الذاكرة الإنسانية للكون [11]، فإلى أي شيء ترمز هذه الإشارات؟

لاشك في أن الإحالة الخاطفة على علاء الدين تحمل ذكاء معرفيا استنطق من خلاله الشاعر شهريار بصيغة انزياحية لا تحيل على علاء الدين والمصباح السحري الذي تتحقق به الأمنيات عن طريق مارد المصباح ولكن مصباح الليلة الثانية هو : **(المصباح والكنز المخبَّــأ/في رمال العرْبِ)**،فالمصباح والكنز، ورمال العرب تحيل على "**البترول**"(الكنز) وهو المارد الحقيقي المتمثل الذي تتحقق به الأمنيات، ولكن شهرزاد الشاعر لا ترغب في الحديث عنه، على الرغم من أن هذه الإشارة مشحونة بدلالات عميقة ربما تحيل على الفتنة الكبرى الذي أحدثها هذا الكنز العظيم، في بلاد العرب ،

آثرت شهرزاد الشاعر أن تروي حكاية أخرى تحيل على الحزن فاستنطقها الشاعر بنصوص تحمل طقسا جنائزيا يحيل على دلالة الموت والفناء من خلال الذاكرة الدينية، واستحضار ذات العماد لتصبح محور الموضوع الذي ستتحدث عنه شهرزاد، فموضوع الليلة الثانية هو ذات العماد التي تبخرت بين كثبان الرماد، وهي هنا تحيل على الاحتراق فهي مشابهة لذات العماد من حيث التمثيل ومحققة للاختلاف والتمايز؛ لأن ذات العماد في الذاكرة الدينية، هي تلك التي لم يخلق مثلها في البلاد

ومع ذلك أبيدت إبادة كاملة بعاصفة رملية غير عادية.. طمرت قوم عاد وردمت اثارهم، نتيجة الجحود وعصيان الله. قال تعالى :﴿ألَمْ ترَ كيفَ فعلَ ربُكَ بعاد، إرمَ ذاتِ العماد، التي لم يُخْلَقْ مثلُها في البلاد﴾(الفجر/6-8)

فلماذا وقعت ذات عماد الشاعر تحت طائلة الاحتراق وتوارت خلف كثبان الرماد؟ ما نوع المعصية المرتكبة ؟وأين يكمن التمايز؟ لا نستطيع أن نقبض على المعنى الكلي إلا إذا اكتملت الصورة التي جزّأها الشاعر على مقاطع

شعرية تحمل في طياتها عنصر التشويق وطابع الإدهاش، ومع ذلك فإن معاني الرموز التي أحاطت بذات العماد تحيل على عنصر الموت والفناء.

غول الفناء.....الموت
قوافل الشهداء.....الموت
أسطورة العنقاء....الاحتراق
العشر الشداد.....الهلاك

ذات العماد ....تبخرت...انتهت....بين كثبان الرماد

وإذا كانت العنقاء تحمل معنى التجدد والانبعاث فإنها في سياق القصيدة تحمل معنى الموت فقط ،فالشاعر أخذ منها معنى الاحتراق، وإذا كانت العشر الشداد تشير إشارة ضمنية إلى قصة يوسف في مشهد تأويله للرؤية الملك وتأويله للبقرات العجاف بالسبع الشداد التي تحيل على سنوات القحط والمجاعة، فإن العشر الشداد هنا تحيل عشر سنوات من الدمار ولعل ما يعضد المعاني هو ما قاله الشاعر على لسان شهرزاد: "**سأقصُّ عن جرح تغلغل في فؤادي/تذكيه صلصلة السِّلاحِ/تذكيه أنّاتُ الأسى/تذكيه حشرجة النُّواحِ/ستقول يا مولايَ: إنَّ/الكيَّ أشفى للجراحِ.../فبأيِّ كف يا ترى أكوي بلادي** "

فذات العماد هنا تحيل على الجزائر، والعشر الشداد تحيل على العشرية السوداء وسنوات الإرهاب، وغول الفناء يرمز إلى الموت والدمار وأسطورة العنقاء ترمز إلى التفجيرات واحتراق المنشآت والمنازل والعباد، فهذا الطقس الجنائزي الذي نقله الشاعر يمثل ليلة ثانية تشاكل ليالي ألف ليلة وليلة، لذلك تتحد ذات الشاعر مع شهرزاد بعد أن كانت منفصلة عنها في الفاتحة النصية، لتقول :" **فبأيِّ كف يا ترى أكوي بلادي** "،وهو بذلك يفتح

نافذه الروح متلمسا درب شهرزاد، متخففا من تلك الغربة المتلبسة بوحشته مأساة بلاده، لعله يجد منفذا للبوح وللكتابة لذلك تمتد خيوط الذات إلى الحفر في الذاكرة لتنسج كل ما من شأنه أن يشاكل حدّة الدمار الذي عمّ البلاد ، فمزج بين الرموز الدينية والأسطورية والخرافية وجعلها تتكدس على شرفات الكتابة وتتشاكل رغم تباينها مختزلة صورة الانسحاق والمعاناة في الوطن الجريح الذي ينزف بالألم الكامن في الحياة، هكذا يتمظهر الموت خارج دائرة المعهود ويتوارى خلف نصوص رمزية تمثل الذاكرة الإنسانية ليصبح أكثر إشعاعا من ذي قبل.

ثم تبدأ الحكاية بعد تمهيد تشويقي تروي من خلاله شهرزاد الشاعر حكاية الوطن الذي تآمر عليه الإخوة الأعداء تقاسموه وذبحوه من الوريد إلى الوريد وهكذا ترتكز شهرزاد الشاعر على لازمة شهرزاد الليالي:" **يا أيها الملك السعيدْ يا صاحب الرأي السديدْ**" وينفصل الشاعر عنها مرة أخرى فاسحا لها المجال، لتقد من الذاكرة وتنسج حدّة المأساة شعرا.

فبعد أن تُبين جمال الوطن كيف كان وما آل إليه، ترتكز على التمني بحرف "لو" التي تبين من خلالها أنه لا يوجد من يصلح بين الأخوة، ولكن ماذا تفيد "لو "بعد فوات الأوان:/(...)/**لو كان في الوطن المذبّح عصبةٌ/قالت لمن باعوه: كلاّ../لو أن حبهمُ تصدى/جهرةً للشامتينَ.../(...)/لو أنَّهُ في ساعة العسرى تجلَّى.../لو أنّنا/لم نلق ألواح الوصايا جانباً/لو لم نخن حلم الشهيد ْ/لو كان في الوطن المكبّل قوةٌ/لو أنه آوى إلى ركن شديدْ/يا أيها الملك السعيدْ.../وطني جريمته الجمال ْ/وطني خطيئته الطهارةُ/(...)**".

وتظل تذكر تفاصيل كثيرة تتحسر فيها على الوطن من عقوق أبنائه، ومن خلال استنطاقها يحاول الشاعر أن يتكأ على نصوص الذاكرة محاولا

اسقاط عوالم التخييل على معطيات الواقع من خلال التكثيف الذي يمثل ذاكرة الوطن.

لو لم ترقْ

تلك الدماءُ على الدماء

ولم تسل في الأرض بحراَ

لو لم يمت ...لو لم تمتْ...

تتقاطع الكتابة بضجيج الأسئلة وتنصهر مع النصوص الدينية، باحثة عن نقطة ارتكاز، تفتح الذات من خلالها الآفاق على الذاكرة الوطنية ووصايا الشهداء الذين تركوا الوطن أمانة للأجيال:" **لم نلق ألواح الوصايا جانباً/ لو لم نخن حلم الشهيد** "والبحث في الذاكرة الدينية عن مواقف مشابهة ، فألواح الوصايا تستحضر ألواح موسى عليه السلام بحمولتها الدلالية ،﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِين ﴾(الأعراف145) **ثم يعود موسى ليجد بني إسرائيل قد عبدوا العجل فألقى الألواح:** ﴿ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (150) ، فالألواح (التي تحمل الشريعة التي كتبت لبني اسرائيل عند خروجهم من مصر) ألقاها موسى (عليه السلام) جانبا عندما غضب من صنيع قومه، لكن قوم الشاعر ألقوا وصايا الشهداء، والمشابهة هنا تكمن في قداسة الوصاياولا تكمن في المطابقة، ومثلما حرّف بنو إسرائيل شريعتهم، حرّف أبناء الوطن وصايا الشهداء، بل إنهم خانوا الوطن، لذلك أصبح الوطن غريبا غربة لوط:"**لو كان في الوطن المكبّل قوةٌ/لو أنه آوى إلى ركن شديدْ.**"

جعل الشاعر من الكتابة مجالا خصبا للمتفاعلات النصية واجتهد أن يجد حالة مشابهة للوطن الجريح فاستحضر قصة سيدنا لوط عليه السلام الذي لم تكن له عشيرة يستقوي بها على ظلم قومه: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾(سورة هود ،الآية80).

ولكن هل انتصر الوطن مثلما انتصر لوط على قومه ؟ هل انتهى الطقس الجنائزي ؟ ماهي نهاية الليلة الثانية بعد الألف؟ هل توقفت شهرزاد عن الكلام المباح؟ هل انقذتها الكلمة؟ يأتي الجواب من خلال الخاتمة الميتناصية التي تحمل طابع المفارقة .

ب-الميتناص:

حملت قصيدة" شهرزاد والليلة الثانية بعد الألف"/النص اللاحق فكرة مغايرة ونقدا لنص ألف ليلة وليلة/النص السابق، فالميتانص يتمثل في معارضة النص لبنية نص أخر ويتفاعل معه من خلال موقفه منه ونقده له،" وهي نوع من المناصة، لكنها تأخذ بعدا نقديا محضا في علاقة بنية نصية طارئة مع بنية نصية أصل." [12]إذ جعل الشاعر حكاية الليالي إطارا يحفظ وهج حضورها من البداية إلى النهاية ولكن الخاتمة حملت عنصر الإدهاش فشهرزاد الشاعر لم تسكت عن الكلام المباح فجاء ت وجهة النظر النقدية على شكل محاورة ومحاكمة ومجاوزة:

والليلة الكبرى انقضتْ

ثم انقضى من بعدها

سبعون شهرًا...

والغادةُ الحسناءُ مازالتْ تصوِّرُ

حدَّةَ المأساةِ شعراً

***

لا الفجرُ أدرك شهرزاد
ولا بلادي أدركتْ
بعد الليالي الألف فجراَ"[13]

لم يشأ الشاعر أن ينهي الحكاية لأن مأساة الوطن مازالت مستمرة إلى تلك اللحظة، لذلك ينطلق الشاعر مع شهرزاد في بداية الحكي ولكنه يترك شهرزاده تصور حدّة المأساة شعرا ،لأن الفجر لم يدركها بعد ،وهنا ينفصل الشاعر الراوي عن شهرزاد فينسب له الوطن بملفوظ "**بلادي**"، فيتجلى الماورائي عبر ما تدّخره ذاكرة الشاعر من معطيات نقدية حول "ألف ليلة وليلة "،وكأن لسان حاله يقول :إذا كانت شهرزاد الليالي قد أسعفتها الكلمة وأخرجتها من مأزق الموت، إذ حوّلت القاتل إلى باحث عن المعرفة بالكلمة ، وروّضته وغيّرت من سلوكه ونزعت الحقد المنصهر في صدره ، فإن الكلمة في العصر الراهن لم تستطع أن تؤثر في القاتل (الإرهاب)، وإذا كان النقاد قد أجمعوا على أن الكلمة سلاح فعال في الليالي فإن الشاعر يقدم نقدا ضمنيا لهذه المقولة، لأن شهرزاده على الرغم من استمراية كلامها غير أنها لم تستطع التغييّر، لذلك نجد الشاعر في البداية يعتمد مبدأ التواتر(التكرار) أو التشاكل المعنوي في التركيز على التساؤل عن مدى فعالية الكلمة وهو سؤال استنكاري :عجبا **لأمري أجعلت من نسج الكلام قواقع في جوفها خبأت عمري؟** ليأتي الجواب في نهاية القصيدة أن الليلة الكبرى انقضت وانقضت بعدها شهور ولم يدرك الفجر شهرزاد الشاعر لذلك لم تسكت عن الكلام المباح ،لأن سكوتها يعني الموت ،فهل هي دعوة من الشاعر إلى نبذ الصمت بحثا عن الانعتاق والخروج من مأزق القتل والدمار؟

تركيب:

استند الشاعر على الذاكرة الأدبية العربية من خلال كتاب "ألف ليلة وليلة" حيث امتص الحكاية الإطار وحوّلها من حكاية مسرودة إلى حكاية شعرية من حيث معمارية النص وبعده الأجناسي ثم حوّر المتن بأن بعث بطلتها شهرزاد من جديد لتحكي لشهريار/المتلقي حكاية أخرى غرائبية تختلف عماّ روته شهرزات الليالي ؛وكأن الشاعر يقول لست وحدك يا شهرزاد من تملكين حكايات عجائبية .عليك الآن أن تسمعي من شهرزادي/ أنا حكاية أخرى تنضاف إلى لياليك.

تمظهرت نصوص الذاكرة من خلال المتعاليات النصية المتمثلة في المناص والتناص والميتاناص ومعمارية النص. وصاغها الشاعر من خلال:

استحضار بعض الأبطال كلمحات رمزية، تبدأ من الصورة الذهنية إلى الموضوعية. حيث بدأت الحكاية الإطار حكاية ألف ليلة وليلة **(النص السابق)** تتجلى من العنوان من خلال ملفوظ شهرزاد الذي جعل ألف ليلة وليلة تحضر في الأذهان بمجرد ذكر اسمها؛ لما لهذه الشخصية من حمولة دلالية بالغة التنوع. ثم يأتي الشطر الثاني من العنوان :والليلة الثانية بعد الألف لتكتمل الصورة الكلية للحكاية، فمخزون الذاكرة هو الذي شكّل **النص اللاحق** .

وتكمن شعرية [14] التوظيف في الانزياح الذي تمظهر في العنوان والمتن بصورة جلية وشكّل مفارقة مفهومية وخرقا لما يُختزَن في الأذهان ، إذ لا نعرف أن هناك ليلة ثانية بعد ألف ليلة وليلة ،الأمر الذي شكل التمايز والفرادة. كما تجلت نصوص الذاكرة جميعها من خلال تلك النصوص القادمة من سياقات دينية واسطورية وتاريخية، وجميعها تشكل مفارقات كونها.نصوص قادمة من عمق الذاكرة حيث استطاع الشاعر أن يكيّف

تلك العناصر المتباينة ويجعلها تندمج في سياق جديد وفقا لرؤيته وفلسفته. وهو سياق الموت والدمار الذي كانت تمر به البلاد وهي دلالة مغايرة أسهمت في شعرية النص .

الخاتمة

استحضر الشاعر نصوصا من أعماق الذاكرة بصيغة مكثفة وطوّعها، وجعلتها تتفاعل بما ضمّنها من دلالات لتقطع الراهن الواقعي بواقع يقف على أرضية الموت ؛ينقد الشاعر من خلاله الممارسات الإرهابية في العشرية السوداء في الجزائر من وجهة، ومن وجهة أخرى يقدّم صورة النسق المضاد الذي يرفض الفناء والموت بهذه الطريقة. باحثا عن أسرار الكلمة التي يمكن أن تكون أداة سحرية تطفئ الجذوة المتقدة ،وتغيّر طبائع النفوس الحاقدة، مثلما غيرت شهرزاد الليالي بالكلمة من طبيعة شهريار.

إن هذه النصوص المستحضرة هي ذاكرته التي يستند عليها وينكتب بها، وهي التي تؤثث القصيدة وتشكل شعريتها ؛«تلك قوّة اللغة وذاك سلطانها، إنها هي ما يروض الوجود الطبيعي وهي ما يوجه الحواس ويؤنسنها، ويميز بين حالاتها، إنها حاضرة على مدار الرؤية.(...) لذلك لا نتعلم لكي نشبع حياة الحسي والغريزي في الذات،(...)،بل نتعلم كيف نفكّر من خلال رموز صوتية بدونها سيظل العالم موحشا غير قادر على استيعاب الخبرات الرمزية التي صاحبت الوجود الإنساني في الأرض» [15].

لذلك يرحل الشعراء إلى الأقاصي البعيدة ليستحضروا نصوصا قادمة من سياقات شتى من أجل بناء تصور معين أو صورة ما، وشحنها بأحاسيسهم ونقلها عبر بساط اللغة السحري لتعبر عن ذلك البريق الذي ارتسم في الذهن وهو يراود تلك الفكرة ويحاصرها كي تأتي طائعة، وتدخل

نسق اللغة، وتمتزج بالمعاني التي يراد لها، ويظل الشاعر وحده القادر على «توسيع التجربة الإنسانية من خلال فتح ذاكرة اللغة على سياقها الثقافي لكي تستوعب الاستعمالات الاستعارية للكلمات والأشياء على حدّ سواء» (16) فمتخيل الصورة هو الذي يفرض على الشاعر أن ينتقي كلماته ، واللغة وحدها تستطيع أن تقول ما لا يقال، ووحده الشاعر الذي يستطيع ترويضها ليخرجا معا إلى فضاء أرحب متمرد على الحصار وعن اكراهات الواقع. وكلما ازدادت اللغة إضمارا وتكتّمت القصيدةُ عن البوح ؛ كلما أزداد النص شعرية ،لأنه يخلق في ذهن المتلقي عنصر الإدهاش و حرقة السؤال، من هنا يكون التأويل الأداة الوحيدة التي يتسلح بها القارىء؛ لأن المعنى لا يمكن أن يكون جاهزا سلفا وإنما يَنْبَني المعنى من لحظة انبناء النص، وهنا تكمن فرادة كل شاعر.

ويمكن المقارنة بين نص الكتابة ونص الذاكرة في الترسيمة التالية:

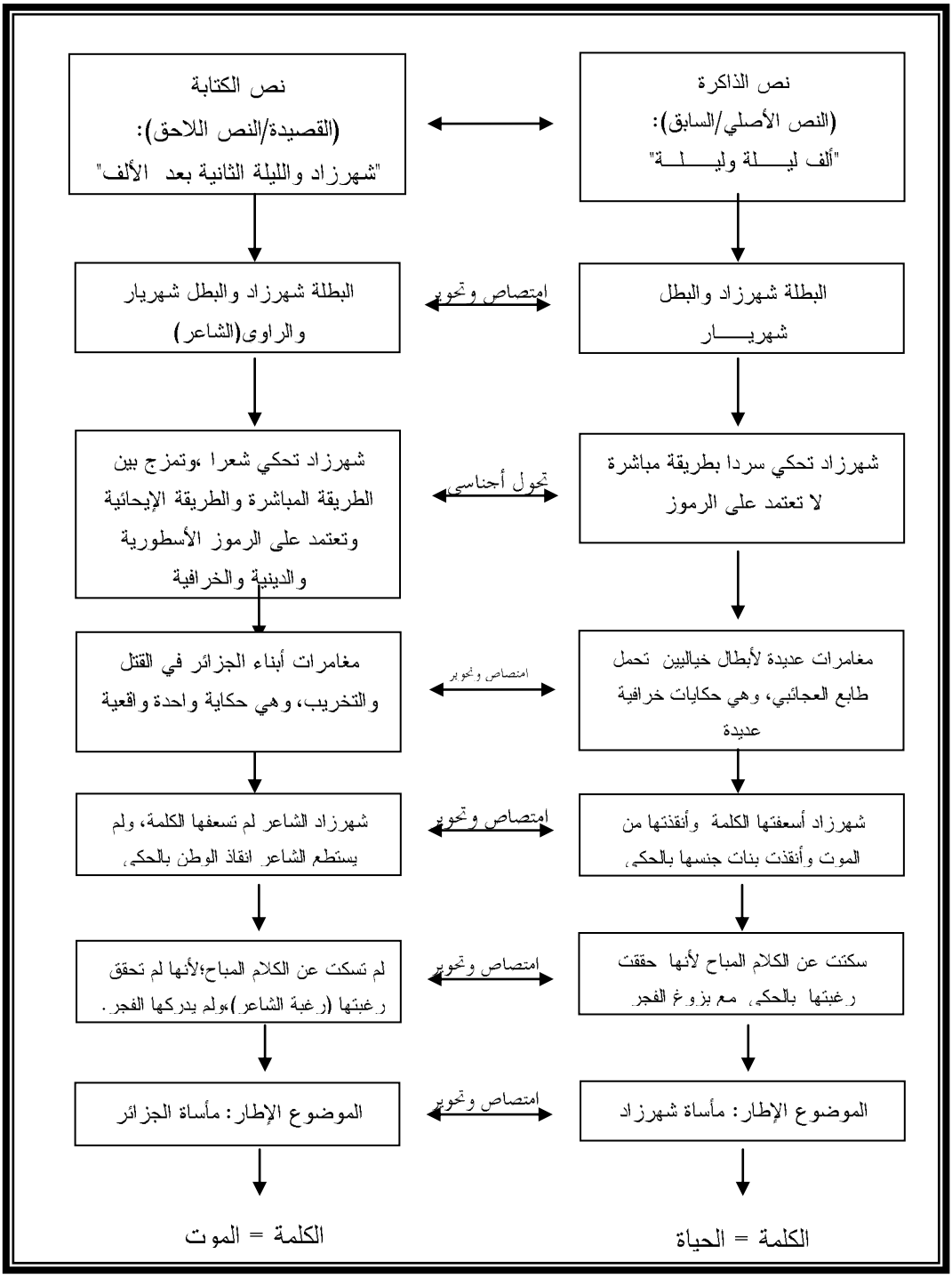
نص الذاكرة
(النص الأصلي/السابق):
"ألف ليـــلة وليـــلـــة"
نص الكتابة
(القصيدة/النص اللاحق):
"شهرزاد والليلة الثانية بعد الألف"
البطلة شهرزاد والبطل شهريار
امتصاص وتحوير
البطلة شهرزاد والبطل شهريار والراوي(الشاعر)
شهرزاد تحكي سردا بطريقة مباشرة لا تعتمد على الرموز
تحول أجناسي
شهرزاد تحكي شعرا ،وتمزج بين الطريقة المباشرة والطريقة الإيحائية وتعتمد على الرموز الأسطورية والدينية والخرافية
مغامرات عديدة لأبطال خياليين تحمل طابع العجائبي، وهي حكايات خرافية عديدة
امتصاص وتحوير
مغامرات أبناء الجزائر في القتل والتخريب، وهي حكاية واحدة واقعية
شهرزاد أسعفتها الكلمة وأنقذتها من الموت وأنقذت بنات جنسها بالحكي
امتصاص وتحوير
شهرزاد الشاعر لم تسعفها الكلمة، ولم يستطع الشاعر انقاذ الوطن بالحكي
سكتت عن الكلام المباح لأنها حققت رغبتها بالحكي مع بزوغ الفجر
امتصاص وتحوير
لم تسكت عن الكلام المباح؛لأنها لم تحقق رغبتها (رغبة الشاعر)،ولم يدركها الفجر.
الموضوع الإطار: مأساة شهرزاد
امتصاص وتحوير
الموضوع الإطار: مأساة الجزائر
الكلمة = الحياة
الكلمة = الموت

الإحالات والهوامش:

[1] – سامي السويدان: في النص الشعري العربي، مقاربة منهجية ،دار الآداب ،ط1،بيروت ،لبنان ،1989، ص:10.

[2] – piérre Brunel : mythocitique (théorie et parcour) presse universitaires de france paris 1992 pp 72 -86.

3 – عبد الحليم مخالفة :شهرزاد والليلة الثانية بعد الألف،مدوة عبد الحليم مخالفة:الرابط الإلكتروني:http://halim12370.wordpress.com /، تاريخ النشر 1أفريل 2010.

ملاحظة :عبد الحليم مخالفة شاعر وأستاذ جامعي جزائري من منطقة قالمة .

[4] – المطاوعة والتجلي والإشعاع هي آليات جاء بها بير برينيل للكشف عن العنصر الأسطوري وتحوله إلى أسطورة أدبية.(piérre Brunel : mythocitique (théorie et parcour,p72-869.)

*القصيدة على بحر الكامل.

[5] – عبد الفتاح الحجمري: عتبات النص ،البنية والدلالة، منشورات الرابضة،ط1، الدار البيضاء ، 1996 ، ص:8.

[6]– عبد الفتاح الحجمري: عتبات النص، البنية والدلالة ،ص:.18

[7] –عبد الحليم مخالفة :شهرزاد والليلة الثانية بعد الألف المرجع السابق صفحة الموقع نفسها.

8–عبد النور إدريس: النقد الأدبي النسائي والنوع الاجتماعي (الجندر): تمثلات الجسد الأنثوي في الكتابة النسائية" عن سلسلة دفاتر الاختلاف، الطبعة الأولى، يونيو 2011،ص:215.

9–عبد الحليم مخالفة :شهرزاد والليلة الثانية بعد الألف ،الموقع نفسه.

10– عبد الحليم مخالفة :شهرزاد والليلة الثانية بعد الألف ،الموقع نفسه.

11– سعيد بنكراد: مسالك المعنى، دراسة في بعض أنساق الثقافة العربية، دار الحوار للطباعة والنشر، ط1،اللاذقية، سورية،2006، ص:.162

12 – سعيد يقطين :انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء المغرب 2001، ص:86.

13 –عبد الحليم مخالفة :شهرزاد والليلة الثانية بعد الألف، الموقع نفسه.

14 - المتعاليات النصية تبحث في شعرية النص ،فجيرار جينيت، يبحث من خلال تلك العناصر عن التعالي النصي ،أي عن شعرية النص واللغة المتعالية التي تكمن في المناص والتناص والميتناص .....إلخ

15-سعيد بنكراد: سعيد بنكراد:وهج المعاني، سيميائيات الأنساق الثقافية، الباب الثالث اللغة بين الجوهر والتجريد وحسّية الدارج، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء، المغرب،2013، ص125.

16 – سعيد بنكراد سيرورات التأويل من الهرموسية إلى السيميائيات ط1، منشورات الاختلاف/الجزائر، والدار العربية للعلوم ناشرون/بيروت، لبنان، ودار الأمان بالرباط،المغرب،2012، ص:338.

***قائمة المصادر والمراجع:**

أ- **المصادر:**

1 – عبد الحليم مخالفة :شهرزاد والليلة الثانية بعد الألف، مدونة عبد الحليم مخالفة:الرابط الإلكتروني:http://halim12370.wordpress.com /، تاريخ النشر 1أفريل 2010.

ب- المراجع:

[1] – سامي السويدان: في النص الشعري العربي، مقاربة منهجية، دار الآداب،ط1، بيروت ،لبنان ،1989، ص:10.

2- piérre Brunel : mythocitique (théorie et parcour) presse universitaires de france paris 1992 .

[3] – عبد الفتاح الحجمري: عتبات النص، البنية والدلالة، منشورات الرابضة، ط1، الدار البيضاء ، 1996 .

4- عبد النور إدريس :النقد الأدبي النسائي والنوع الاجتماعي (الجندر): تمثلات الجسد الأنثوي في الكتابة النسائية" عن سلسلة دفاتر الاختلاف، الطبعة الأولى، يونيو 2011.

[5] – سعيد بنكراد: مسالك المعنى، دراسة في بعض أنساق الثقافة العربية، دار الحوار للطباعة والنشر، ط1،اللاذقية، سورية،2006.

[6] – سعيد يقطين :انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي،ط2، الدار البيضاء المغرب .2001

[7]– سعيد بنكراد:وهج المعاني، سيميائيات الأنساق الثقافية المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب،.2013

[8] – سعيد بنكراد سيرورات التأويل من الهرموسية إلى السيميائيات ط1، منشورات الاختلاف/الجزائر، والدار العربية للعلوم ناشرون/بيروت، لبنان، ودار الأمان بالرباط، المغرب2012.